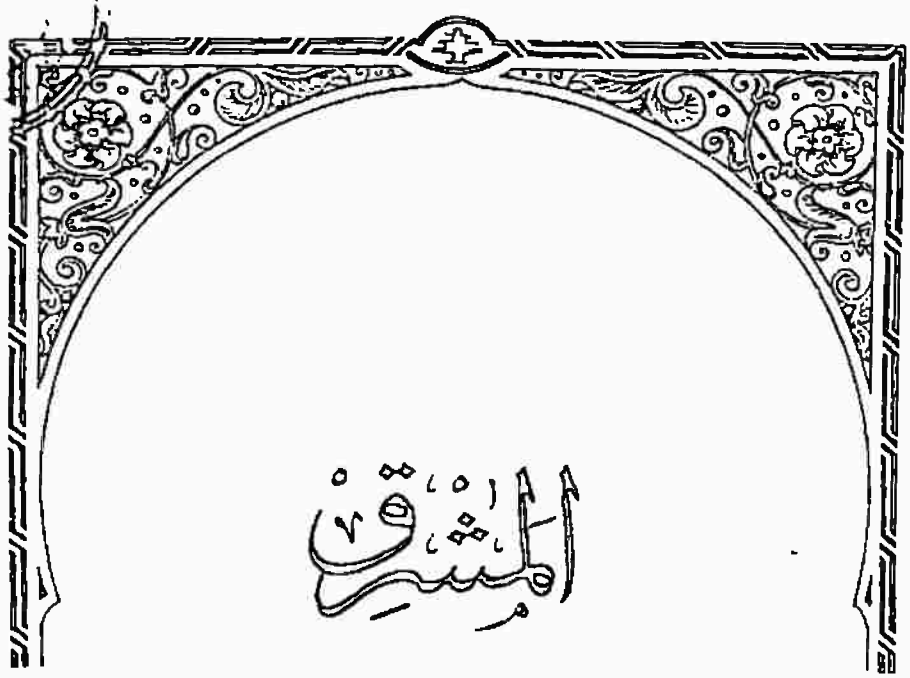

السنة الثامنة والخمسون
ايار – حزيران ١٩٦٤

كتاب اعلام الهدى وعقيدة ارباب التقى

للشيخ شهاب الدين السهروردي

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

نزف الى قرّاء هذه المجلة الكرام كتاب أعلام الهدى للسهروردي وفيه من ضروب التحليل النفساني واللاهوتي ما يروق القارئ البصير. وهذا الكتاب هو حلقة جليلة بين مؤلفات الصوفي الكبير وكأنه اختصر فيه ما ضمّنه كتبه الباقية. وهو من مخطوطات المكتبة الشرقية.

ولقد نُسخ كتابنا هذا على ورق عادي بخطّ رقعي واضح ومتقن وتضمّن عشرة فصول لا تتجاوز كلها الثلاث وعشرين صفحة بطول ٢٢ س. وبعرض ١٤ س. يحتوي كل سطر من الصفحة على سبع عشرة كلمة.

وُلد السهروردي في سهرورد في اواخر رجب من سنة ٥٣٩ (١١٤٥م) وتوفي في المحرّم من سنة ٦٣٢ (١٢٣٤م). كان متديّناً ولقد تغلّب عليه حب التفكير فجمع

في ثقافته لا الامور الاسلامية فحسب ولكن كل ما يوسّع آفاقه ويجعله في جو يستطيع من خلاله ان يتطلّع الى ما وراء هذا العالم فيكتشفنا على الله في العقيدة الصحيحة وعلى التنزيه وصفات الله الذاتية وقدرة الله وخلق افعال العباد وعلى كلام الله تعالى وعلى الآيات والاخبار الواردة في الصفات وعلى رؤية الله وعلى الشهادة ان محمداً رسول الله وعلى اصحاب رسول الله واخيراً على الموت وما بعده من الامور الاخروية . وكل ذلك عن درس وتحليل وعن اختبار وحياة. ولذا فمؤلفات السهروردي تحملنا دوماً الى الزيادة من التفكير والى الاستزادة من التشرّق الى أجواء صافية يسبح فيها عن جدارة وكفاءة .

هو القارئ الكريم هذه الفصول القصيرة التي يبين فيها المؤلف عقيدة اهل التصوّف .

هـــذا كتاب اعلام الهدى
للشيخ المحقق العارف بالله تعالى
شهاب الدين السهروردي
قدس الله تعالى سره العالي

بسم الله الرحمن الرحيم وبـــه نستعين

الحمد لله الذي رفع غشاوة الغفلة عن بصائر اهل الرشاد وهداهم بنور اصطفائه الى اقوم مناهج الرشاد وزكّى نفوسهم عن الميل الى الدنيا حتى سلكوا اعدل طريق الزهاد وحمى قلوبهم عن الزيغ بالاهواء المردية بصحيح الاعتقاد واوردهم مناهل صفو اليقين حتى انحسمت من بواطنهم مادّة الريب والعناد وأترعت لهم كؤوس الفهوم من كوثر غرائب العلوم بما ترادفت عليهم من الامداد تعرّف في وجوههم نضرة نعيم المعرفة وبشر الظفر بالمراد وتودى في سرّهم اخفاء من زرّهم ان هذا لرزقنا ماله من نفاد . احمده على ما منح من السداد واشكره على ما منع من موجبات الابعاد واشهد ان لا اله الاّ الله وحده لا شريك له شهادة دائمة النور ابد الآباد . واشهد انّ محمّداً عبده ورسوله المبعوث الى كافة العباد صلوات الله عليه وعلى آله الاكرمين الامجاد . وبعد فقد التمس منّي وانا مجاور بمكّة حرسها الله وزادها شرّفاً اخٌ من المسلمين وانّى وإيّاه في الطواف حول الكعبة المقدسة المعظمة ان اكتب له عقيدة يتمسك بها وكان من قبله سبق هذا الالتماس من غيره ولم ينشرح صدري للاجابة فلمّا وردت عليّ مسئلة هذا الاخ وجدت من باطني مجيباً له الى ذلك ثمّ انى توقّفت

اذ رأيت الوقت بمكة عزيزاً جداً يعز ان يشغل بغير الصلاة والطواف والتلاوة مع ما بلى به الانسان من صرف بعضه الى الاكل والنوم والاهتمام بمصالح ضرورية ومسئلة الاخ تتقاضى باداء حقه ثم علمت انني ان ارخيت عنان المراد ربما اتسعت النفس وجذبت الى مطالعة الكتب واستخراج المسموعات المسندة لتقييد ما اذكره بالاحاديث المسندة ومطالعة اقاويل الفرق ويصير لما خطر لى شعب لا يفى بها الوقت فاستخرت الله تع ودعوت فى الملتزم والمستجاب وتمسكت بالاركان والاستار وسألت الله تع ان ينفع بما اذكره ويجعله خالصا لوجهه ويحرسنى فيه من الخطاء والزلل وبعد الاستخارة والدعاء استمليت هذا المختصر من باطنى وشرطت على نفسى ان يكون القلب ناظراً الى الله تع مستعيناً به وربما كان الخاطر يقف فى شئ منه فاطوف حول الكعبة حتى ينشرح الصدر للقول وسميته اعلام الهدى وعقيدة ارباب التقى ورتبته على عشرة فصول والله الموفق والمعين . الفصل الاول فى شرح العقيدة الصحيحة ومنشأها ووجه تطرق الفساد اليها . الفصل الثانى فى شهادة ان لا اله الا الله وتنزيهه . الفصل الثالث فى صفات الله الذاتية . الفصل الرابع فى قدرة الله تع وخلقه افعال العباد . الفصل الخامس فى كلام الله تع وما خاض الناس فيه من القول الفصل . السادس فى القول فى الايات والاخبار الواردة فى الصفات . الفصل السابع فى رؤية الله تبارك وتعالى . الفصل الثامن فى شهادة ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم . الفصل التاسع فى ذكر اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلم ورضى الله عنهم . الفصل العاشر فى ذكر الموت وما بعده من الامور الاخروية وذكر الساعة وانا اسئل الله تع ان يحفظ القلب الذى هو مقلبه والمودع فيه ما يشاء من اثار رحمته ونفايس موهبته من نزغات الشيطان وهفوات الطبع ويكون حركة يدى وارادة قلبى لا تنفك عن النية الصالحة فيه ان شاء الله سبحانه وتعالى .

« الفصل الاول فى شرح العقيدة الصحيحة »

اعلم ايدك الله تع ان العقيدة الصحيحة هى العقيدة السليمة من الاهواء انتجها قلب حى بذكر الله تع وهو القلب المزين بالتقوى المؤيد بالهدى الذى تشعشع فيه نور الايقان وظهر اثر نوره على الجوارح والاركان حتى صارت مقيدة باوامر الشرع محفوظة من هفوات الطبع وهو قلب ردد الله تع الى طهارة الفطرة وخلصه من اثر كل مسموع يتكرر على النفس فيتطبع فى النفس منه ظن ووهم يشغل كليتها فلا يبقى فيها لغير ما ظنته وتوهمته مساغ ولا يكون مثل هذا القلب الا الزاهد فى الدنيا لانه قلب محفوف بالنور والقلب المحفوف بالنور قلب الزاهد . قال رسول الله

صلى الله تع عليه وسلم النور اذا وقع فى القلب انشرح وانفسح . قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم ان التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وكثير من المسلمين تمسكوا بعقيدة تقررت عندهم ادلتها وصيرت بزعمهم براهينها اذا اعتبرهم العالم الزاهد يجدهم يخلدون الى تقليد هو عندهم كمال التوحيد واذا استبرت احوالهم تجدهم مقلدين لمن حسن فيهم ظنهم من مشايخهم وائمتهم واعتقدوا فيهم قوة العلم والناظر بالصحيح فتلقوا منهم العقيدة وسمعوا منهم ادلتها فامتلأ وهمهم وخيالهم بما يسمعون فظنوا انهم ظفروا وكل حزب بما لديهم فرحون وقد يتمسك بعقيدة من لم يخالط العلماء زيادة مخالطة ولكن يسمع من المخالطين له والمخالطين والمجتمعين على الحق من اهل مخالطته وبلدته فيتمسك بما تمسكوا به ويكفر من لا يعتقد معتقده وقد يلتحق كثير ممن يزعم انه ضرير بالدليل بهذا القسم ويكون مقصد متبعه والنفوس تسترق وتتطبع وتقتنص فيها اشياء وهذا من غير ان يتفطنوا لتحايلها وعلى هذا جبلت وطبعت وهذا شرح عميق وغور بعيد ولما كانت هذه الفتنة مما عم بها البلوى وصدت عن الهدى فلا طريق الى النجاة الا صدق الافتقار وحسن الالتجاء الى المولى حتى يكشف هذه الغمة ويرشد الى الحق الصرف من قرع باب الطلب من الامة ومن انتزع من قلبه الهوى فظفر بحسن الاهتداء ينظر بعين الرحمة الى المحجوبين ولا يكون فظا غليظ القلب على ارباب اختلاف الآراء كافة من اهل القبلة من المسلمين كافة ونستعين بالله تع فى تفهيم الطالبين المسترشدين ولما ضحت العقول واعتدلت فى زمن رسول الله صلى الله تع عليه وسلم بما افاض الله تع عليهم من انوار الوحى السماوى وانوار القلب المقدس النبوى انخلعت النفوس من العادة واذعنت الطاعة والعبادة وتشربت القلوب الزهد فى الدنيا وعانقت الاقبال على الله تعالى والاخرى واستشفت انوار اليقين من وراء استار الغيب وانسلخت عن كل شك وريب لا جرم اتحدت العقايد وصارت القلوب قلباً واحداً والاراء رأياً واحداً كما وصفهم الله تع (كأنهم بنيان مرصوص) فتبين بذلك ان ما حدث فيما بعد ذلك من الاختلافات لم يكن الا لما تكون من الانحراف فلما انحلت عزايم الزاهدين وتزعزعت ابنية المتقين تطرق الى العقايد الشيطان وزعزع اصول الايمان فمن اراد العقيدة الصحيحة من كل عيب وعوار فعليه باقتفاء تلك الاثار حتى يكشف عن قلبه غشاوة الحجب والاستار ويظفر بكنز الاسرار ويتواتر عليه الامداد والانوار قال الله تع واتقوا الله ويعلمكم الله جعل العلم النافع معذوقاً بالتقوى ولا شبهة ان الهوى شريك العمى والله تع بفضله ينقذ من الضلال ويعين على اصلاح الحال.

« الفصل الثاني في شهادة ان لا اله الا الله والتوحيد والتنزيه »

علم القلب الصحيح وحكم العقل السليم وشهد العلم الراسخ بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولوا العلم حيث قال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم تعالى الله لا اله الا الله لا ضدّ له ولا ندّ ولا شبه له ولا مثل له لا ولد له ولا والد له ولا وزير له ولا نظير له لا يدرك كنه عظمته الاوهام ولا يبلغ بنائه وكبرائه شأوَ الافهام ولا يعترى ذاته المقدس التأثر والتغير والآلام والاسقام والسنة والمنام والافتراق والالمام جلّ عمّا يجول به الوسواس وعظم عمّا يتكيفه الحواس وكبر عمّا يحكم به القياس لا يصوّره خيال ولا يشاكله مثال ولا ينوبه زوال ولا يشوبه انتقال ولا يلحقه فكر ولا يحصره ذكر قيوم ازلىّ دیموم سرمدىّ لا تحدّ ابديته بمتى ولا تقيّد ابديته بحتى لا ينطلق عليه التعيين ولا يتطرّق اليه التأيين ان قلت اين فقد سبق المكان وان قلت متى فقد تقدّم الازمان وان قلت كيف فقد جاوز الاشباه والامثال والاقران وان طلبت الدّليل فقد غلب الخبرَ العيانَ وان رُمْتَ البيان فذرات الكائنات بيان وبرهان اوّل آخر ظاهر باطن تفانت الاوائل والاواخر في ازليته وابديته تفرّد في الأزال بنعت العظمة والجلال قبل الكون والمكان والدهور والازمان والحين والاوان فالمكان جواهر واجسام خلقها والدّهور اوقات وازمان قدّرها كل ذلك موسوم بالحدث عرفنا المكان والزمان بتعريفه ايّانا وان شاء كوّننا ولم نعرف زمانا ولا مكانا وكوّننا في المكان ولو شاء كوّننا ولا مكان فعلّمنا بانّنا لا نكون الاّ في مكان من قضايا عقولنا وهذه القضايا هيّأها لنا نعقل بها المعقول ونعلم بها المعلوم ولو شاء هيّأ لنا غير هيأتنا فعوالم قدرته غير محصورة وغرايب مشيّته غير منكورة وما نحن فيه من العالم بما نحن عليه من العقل والعلم عالم من عوالمه ولا تستبعدْ قولي لو شاء كوّننا في غير مكان فقد كوّن المكان لا في مكان اذ لو كان في مكان لتسلسل فلا تحصُرِ القدرةَ بعقلك اذ العقل قوّته ان يحصر الحكمة واما القدرة فلا يحصرها حاصر فحدّث عن البحر ولا حرَجَ ومن هذا الاساس تمشّت وتبيّنت الامور الاخروية وعلمها من علمها وانكرها من عجز عقلُه عن ادراكها فمن يكون المكان بما فيه من المكوّنات والزمان والمقدّر فيه عالماً من عوالمه ويسيرا من عظيم قدرته كيف يحصره الزمان والمكان فما اظهر من عالم الملك والشهادة عالم الحكمة والعقل الموهوب لنا الذي يتصرّف به موكول بهذا العالم وهذا العالم من العرش الى الثرى مع العقل الذي فهمه وعقله وعلمه وقسمه اجساماً واعراضاً

عالم من عوالمه فصوّر العالم وكل ما حواه وهو العالم الذى عقله العقلاء بما فيه من الارض والسماء والماء والنار والهواء والعرش والكرسيّ والجنّ والانسّ والافلاك والاملاك والالوان والاكوان والاجرام والاصطكاك والشمس والقمر والنجوم الى اعماق اطباق التخوم بالنسبة الى العظمة الالهية اقلّ واحقر من خردلة بالنسبة الى جميع العالم ففرّغ بالك عند ذلك من قياساك انه سبحانه داخل العالم او خارج العالم فما احقرك واحقر علمك فلو فتحت عين بصيرتك استحييت من قياسك وفكرك ووهمك وخيالك ايها المحدود والمحصور لا ينتج فكرك الاّ حدودًا محصورًا وايّها المحيط به الجهات لا يحكم عقلك الاّ بالجهات فالجهات من جملة العالم وقد علمت نسبته الى عظمة الله تع فتبارك احسن الخالقين

« الفصل الثالث فى صفات الله تع الذاتية »

لله تعالى الاسماء الحسنى والصفات العلى لا نسمّيه الا بما سمّى نفسه ولا نصفه الاّ بما وصف قدسه فكلّ اسم من الاسماء ينبئ عن صفة من الصفات وله بكلّ صفة من صفاته اثر من آثار ربوبيّته فى خلقه وهو مطالب بعبوديّة ملايمة لتلك الصفات وهذه الصفات التى اذكرها ذاتية من لوازم كمال الذات المقدس وما ابرزها الاّ لنعلمها وما ذكرها الا لنفهمها ولولا ما اخبر وانزل وفهّم وعلم لعظم شان الله ان يتفوّه بها لسان او يعرب عنها بيان ومنها (الحيوة) قال الله تبارك وتعالى هو الحى لا اله الاّ هو حياته سرمديّة فى الازال والاباد جلّت عن مدد العناصر او معونة من الباطن والظاهر لانّه صمد لا يتطرّق اليه التأثير قيّوم لا يعتريه الزيادة والنقصان والتغيّر فالزيادة لقصور عن الغاية والنقصان لتخلّف عن النهاية وهو خالق الغايات والنهايات ومنها (القدرة) قادر جميع الكائنات معدوداته لا يعجزه شيء ولا تتكوّن دون قدرته شيء قادر ان يعدم الكون بامره وقادر ان يبدع غير كمثله اخذ بناصية كلّ ما فى ارضه وسمائه وبرّه وبحره المقدورات قائمة بقدرته مسخّرة فى قبضته اوجدها بكُنْ فكانت ولو شاء اعدمها فتلاشتْ وتوانتْ ومنها (العلم) عالم احاط بجميع المعلومات بعلم واحد قديم ازلىّ لا يغرب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض يحصى اعدّاد الرّمال وذرّات الجبال علم ما كان قبل كونه ويعلم ما يكون فانّه سبحانه مستقلّ بعلم الكون مطلقاً اولًا آخرًا ظاهرًا وباطناً عالم بالجزئيات كما هو عالم بالكليات فمثال العلم الازلىّ الواسع واحاطته بالجزئيات والكليّات

انك لو احذت كفاً من الخردل وتركته فى وعاء ضيق عجزت عن احصائه لتزاحم وضيق وعائه وقصور ادراكك فان انت بسطته حتى تتردد الحبات فما قل من ذلك تدركه وتحصيه وما كثر لا تحصيه لنقصان شعاع بصرك المنبعث من حدقتك فلو كر الشعاع لادركت الكثير كما ادركت القليل ولو كر الوعاء لاحصيت الجميع فالمعلومات حزئيتها فى علم الله سبحانه فى اواسع بسيط اذ علم الله سبحانه اخرج المعلومات من مضيق الخفاء واحصاها جميعاً بعلم واحد احصاءً واحداً ما كان وما يكون فهو سبحانه عالم على الاطلاق وسائر المعلومات غير واهبها وخالقها فسمّى نفسه بذلك فسمّيناه بما سمى به نفسه حيث قال عالم الغيب والشهادة ويعلم السر واخفى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ويعلم خطرات الضمير وتحصى ذرات الهباء فى لواح الهجير ومنها (الارادة) مريد على الاطلاق لا ارادة لاحد من الخلق من الجن والانس والملائكة والشياطين الا ومشيتها ومريد مرادها ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يجرى فى ملكه من كفر وايمان وطاعة وعصيان وعطاء وحرمان وعمد وخطاء ونسيان الا بمشيته عدل فى جميع اقضيته ومراداته غير موصوف بالظلم فى بريته ومصنوعاته لا رادّ لامره ولا مانع لقضائه وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا رادّ لفضله وصف نفسه بالارادة فوصفناه بما وصف به نفسه فقال انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقال اذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ومنها (السمع) سميع يسمع النداء ويجيب الدعاء ويسمع نداء الضمير من غير تعبير باللسان وتفسيره لا يشغله سمع عن سمع ولا يشتبه عليه الاصوات ولا يغلطه المسائل ولا يختلف عليه اللغات يسمع حفيف الطيور ونداء الديدان فى بطن الصخور ودوىّ الحيتان فى قعر البحور جلّ جلاله ومنها (البصر) بصير يبصر دبيب النملة السوداء فى حنادس الديجور ويرى فى ليلة الظلماء تقلبات الهوام وهى تمور وصف نفسه بالسمع والبصر فقال ليس كمثله شىء وهو السميع البصير (ومنها الكلام) متكلم بكلام قديم عجز عن مثله الفصحاء وقصر دون الاتيان بآية منه البلغاء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

« الفصل الرابع فى قدرة الله تع وخلق افعال العباد »

ليس لاحد من الخلق قدرةٌ الا بما اقدره الله تع فالله خالق القادر وخالق قدرته فقدرة القادر وفعل الفاعل كتأثير الشمس بالحرارة والشمس خلق الله تع وتأثيرها فى الاشياء ايضا خلق الله تع لان المؤثر اذا كان خلقا يكون الاثر

خلقا واذا كان الفاعل خلقا يكون الفعل خلقا فان ظنّ الظانّ ان الفاعل ذو ارادة بخلاف الشمس يقال تلك الارادة ايضا اثر من المريد والمريد خلق فيكون ارادته خلقا فاذا اسند الارادة الى العلم فنقول العلم اثر ووصف للعالم فاذا كان الموصوف خلقا يكون الوصف ايضا خلقا فان قلت اذا كان الله خالق الفعل فكيف يعاقب على فعل خلقه فنقول كما يعاقب خلقا خلقه فليس عقوبته على ما خلق بابعد من عقوبته من خلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ثمّ نقول له ايضا اعلم بان الله تع خلق الكافر وكفره والفاسق وفسقه ثمّ امر الكافر بالايمان ولم يخلق له ايماناً فامره بالايمان فهو محض وعدم خلق ايمانه قهر محض وادخاله النار حيث خلق له الكفر بسبب الكفر قهر محض لانه قهار وصفة القهر اقتضت ذلك وخلق المؤمن وخلق له ايمانا وخلق الطائع وخلق له طاعة ولم يكن المؤمن والطائع بذلك منه واضاف الفعل اليه تكرّما محضاً ولم يكن طاعته الاّ خلق الله واسكنه الجنة بمحض الرحمة والفضل لانه الرّحمن الرحيم الغفور الودود الا ترى كيف جعل الآدميّ ذا مال فقال من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فالمال والمموّل ملكه وملكه فقياسك ان هذا كيف وليم وانّ ظلم يكون لضيق دعائك وقصور فهمك اذ لم ينكشف لك سرّ ذلك تقيس امره على الخلق جلّ امره عن القياس وعظم عن ان يحيط بحقيقته افهام الناس وما اشتبه على الخلق من سرّ القدر فمنع الخلق عن الخوض فيه لموضع اشكاله وقد يكشف للعلماء الراسخين باطّلاع الله تع اياهم على ذلك منحة منه سبحانه ثمّ اعلم انه لا يكون منك فعل الاّ بحركة جارحتك وجارحتك لا يتحرّك الاّ بارادة تنشأ من القلب ولولا ارادة القلب ما تحرّكت الجارحة حركة مخصوصة فى محلّ مخصوص وامر مخصوص ولكانت الجارحة كالجماد فما خيار الفعل فعلاً الاّ بارادة القلب والقلب اميرّ الجوارح فجارحتك جماد لولا قلبك ونسبة قلبك الى الله تع كنسبة جارحتك الى قلبك فلولا احداث الارادة فى القلب وخلق الله اياها لكان القلب ايضا جماداً فصارت الجارحة ذا فعل بالقلب وصار القلب ذا ارادة بالله فالله سبحانه خلق الارادة فى القلب واحدثها فتكوّن الفعل بارادة القلب بالله فتكوّن الفعل اذن بالله تع فان قلت كيف يضاف الىّ ضمان المتلفات واروش الجنايات ويقام فى الحدود فنقول يكون الفعل من الله خلقاً ومنك كسباً لان الله سبحانه خلق عالم الفكرة وديّره بالاسباب والوسائط والآلات والادوات وخلق كلّ شىء واضاف كلّ شيء الى شيء والكل منه وبه فلا تجعل للشيء وجوداً على الاستقلال والاستبداد ولا تكن قاصر النّظر

فاىّ فعل لك واىّ وجود لك الاّ ما وهب لك واهب الوجود سبحانه ولا تعلم غير هذا حتى لا تكون ما تقوله وتوهّمه اشتراكاً فى الرّبوبيّة والله يتولى الصالحين .

« الفصل الخامس فى كلام الله تع وما خاض الناس فيه من القول »

اعلم ان كلام تع عظيم اذ عظمة الكلام على قدر عظمة المتكلم وكلام الله سبحانه عظم بعظمته وجلّ بجلاله وكبر بكبريائه وقرب وذنى بوعده ووعيده وحدوده واحكامه وابنائه وبعد ونأى بكنهه وغايته وعظم شانه وقهر سلطانه وسطوع نوره وضيائه فهو عالى الرتبة عظيم المنزلة ناهيك لعظم شانه قول الله تع (قل لئن اجتمعت الانس والجن علىّ ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) فمثاله من عالم الشهادة الشمس الذى ينتفع الخلق بشعاعها وريحها ولا قدرة لاحد ان يقرب من جرمها ان لم وجد الى ذلك سبيلا فمن قائل بان لا حرف ولا صوت لما عظم عليه ان يحضر ومن قائل انه حرف وصوت لما عزّ عليه ان يغيب ولكل وجهة هو موليها فالقائل الاوّل نفر لما رأى من مزج الحدث بالحروف والاصوات فقال لا حرف ولا صوت صيانة للقديم عن مزج الحدث والقائل الثانى رأى اشعّة العظمة القديمة تحرق اجرام الاصوات واللّغات فقال هو صوت وحرف شعر رقّ الزّجاج ورقّت الخمر. فتشابها وتشاكل الامر . فكأنها خمر ولا قدح . وكأنها قدح ولا خمر . فالسّبيل الامثل والطّريق الاعدل ايّها الاخوان من الطائفتين ان تركوا المنازعة فى حمل كل واحد من الطائفتين ان يخوض فيما خاض فيه ويتعرّض لما تعرض له الاّ ما بلى به من تعلّق الشبه ببواطن اهل الزمان فاحوجه الوقت ان يشرع فيما لم يشرع فيه اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم من الاهواء المختلفة والاّ فلا يخفى على العاقل ان العبد اذا قال القرآن كلام الله واعتقد انّه يجب اتّباع امره ونهيه والالتزام باحكامه وحلاله وحرامه واستماع وعده ووعيده والقيام بحقوقه وحدوده ولا يتعرض بعد ذلك شيئا ولا يفوته ممّا وجب عليه شيء ممّا تصوّره من المسئلة انه ان لم يقل كذا يلزمه منه كذا فلعلّه يعيش مأة سنة ولا يخطر بباله شيء ممّا تصوّره فدعه يمضى لسبيله فهذا الطريق القديم والمنهج المستقيم والاّ فمتى تعرّضت للقدم تعرّض الخصم للحدث وانت تكفّره وهو يكفّرك وما ارى التكفير الاّ قولاً من غير فعل بمقتضاه فالذى نكفّره اراك تخالطه وتمازجه وتوادّه وتزوّجه وكفاك عاراً ان فعلك يكذّب قولك فلا اراك تزيد خصمك بقولك الاّ اغراءً وعصبيّة وغيضا فاعمل فى تلاوة كتاب الله عزّ وجلّ آناء ليلك واطراف نهارك وتدبّره

في صلوة وغير صلوتك فانه كتاب الله اليك وحجة عليك فلمارعة في ذلك كمن يأتيهم كتاب من سلطان يأمرهم فيه وينهاهم وهم يتشاجرون في ان الكتاب كيف خطّه وكيف عبارته واتى شيء فيه من صفة الفصاحة والبلاغة ويذهلون عن صرف اهمّ الى الانتداب لما ندبوا اليه والله بفضله يلهم الصواب .

« الفصل السادس في الايات والاخبار الواردة في الصفات »

اخبر الحق سبحانه وتعالى انّه استوى فقال الرحمن على العرش استوى واخبر رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم بالنزول وغير ذلك كما جاء في اليد والقدم والتعجب والتردد وكلّ ما ورد من هذا القبيل دلائل التوحيد فلا يتصرّف فيها بتشبيه وتعطيل فلولا اخبار الله تع واخبار رسول الله ما تجاسر عقل ان يحوم حول ذلك الحمى وتلاشى دون ذلك عقل العقلاء ولبّ الاولياء فالله تع دنا من عباده بما اخبر ودلّ على نفسه بما اظهر ورفع حجابا من الحجب عن وجه الكبرياء وكشف شيئا من سبحات العظمة والعلاء فكل اخبار الصفات تجليات الهية وكشوف والطاف خفية عقل من عقل وجهل من جهل فلا تبعد عن الله تع بالتشبيه وقد قرب منك ولا تقرب منه بالتعليل وقد دنا اليك اطلق الاستواء وعن الكيفية وهكذا سائر الصفات فهو سبحانه بما تجلّى لعباده بهذه الاخبار ظاهر وبما قصرت العقول عن ادراك كنهها وكيفيتها باطن فلا تستكشف من عظم شانه ما بطن ولا تستشف من علوّ سلطانه ما اكتمن واياك ايّها الراغب في الدنيا الغالب عليه محبّة الجاه والعلوّ والرفعة بين الناس ان تتصرّف فيها بعلمك فانّها اسرار وان كانت اخبارا وانت مريض فداو اولا مزاج قلبك عن مرض الميل الى الدنيا الفانية حتى يستقيم مزاج عقلك ثم اعلم انّ المتصرفين في ذلك من الطوائف مأجورون من حيث انّهم قصدوا التوحيد وموّاخذون من حيث عدولهم عن المنهج القويم والاخلاد الى التشبيه والتعطيل فانظر ايّها المنصف ودع الهوى والعصبيّة وراجع فكرك من غير فظاظة وغلظة واتق الله في نفسك ودينك فان الله عند كلمة كل قائل واعلم ايّها الاخ الحنبلي ان اخاك الاشعري ما ذهب الى التأويل الاّ لما توهّم من (+) البواطن من التشبيه والتمثيل ولو سلّم له مجرّد الاستواء ما اوّل واىّ حاجة كان له الى ذلك لولا خوف التشبيه وايّها الاخ الاشعري ان اخاك الحنبلي خوفا من النفي والتعطيل حمله على المبالغة والاصرار ومخامرة خفيّة من الاستقرار فليصالح احد كما الاخر سريح الحنبلي عن باطنه المخامرة الخفيّة وسريح الاشعري خوف التشبيه ولا يخلد الى التأويل فالاعتراف بمجرّد الاستواء لا يضره وليقولا جميعا اثباتاً من غير تشبيه ونفياً

من غير تعطيل آمنّا بما قال الله تبارك وتعالى على ما اراد الله ويليق بالله وامنّا بما قال رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم على ما اراد رسول الله فعلمُ تلك الاسرار موكول الى الله تع ورسوله وما حسنٌ قول القائل الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فالاستواء لا يفوته تمّ اريد ايضاحا وتوطئة للصلح والله يعلم ان القصد فيه صالح ومن اتمّ العبادات اجرًا اصلاح ذات البين ويدعوا الى هذا الفنّ من الاصلاح ما نقل من طائفة من السلف التصريح بالاستقرار فى تفسير الاستواء . اعلم ان البواطن فى زمن رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم وفى غير زمانه لم تكن على صفة واحدة من حيث غرائزها وجبلاتها بل بعضها كان اقوى من بعض واتم فهماً وعلمًا واكمل استعدادًا ولاختلاف الاستعداد تنوّعت مراتب الدّعوة قال الله تبارك وتعالى (ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن) فلسان الحكمة جعل رتبةً فى الدعوة لبواطن قابلة لذلك صالحة له ولسان المواعظة لبواطن آخر صالحة لذلك والمجادلة لآخرين فكان رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم يكلّم الناس على قدر عقولهم وبنور باطنه الصافى يشرف على البواطن ويودع فى كلّ وعاء ما يصلح له فلا تظنّ ان رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم حيث اطلق القول فى النزول ونزلت عليه آية الاستواء كان عند الكلّ من المستمعين فهم ذلك على السواء بل تفاوتوا فى الفهم على حسب تفاوتهم فى كل زمان والنبىّ صلى الله تع عليه وسلّم اطلع على تنوّع فهوم البواطن وقدّر كل ذى عقل على عقله وكلّ ذى فهم على فهمه وحيث اشارت الحرسآء الى السّماء اكتفى رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم ايماناً وتوحيدًا غير انّ بواطن جميعاً كانت فى ظلّ فناء العصمة غشيها وقار النبوّة وابّهة الرسالة فلم يظهر بينهم نزاع ولا اشتهر خلاف وبقيت النفوس راكدةً راقدةً على استعجاما وطيشها وسرعة نفورها وكلّما تمادى الوقت وتوارت اشعّة شمس العصمة النبوة وبَعُدَ عهد الرسالة ربّ الخلاف والاختلاف فى الامّة الى ان تفاحش وكثف وأفضى الامر الى التكفير والسبّ ووثبت النفوس وثوب الثعبان وظفر بتكدير صفو العقائد الشيطان فاذا علمت هذا السر فاعلم ان الغرائز على اختلافها وتنوّعها لاتنق البواطن على صفاء الفهم ولا يهتدى باسرها الحق الصّرف ولا يزالون مختلفين الاّ من رحم ربّك ولذلك خلقهم ولكنّ انظر الى المقاصد اذ كلّ منهم يتحرّى ويجتهد فى اصابة الثواب فمن رأيته تحت عصمة الاسلام ملتزماً بالاحكام معترفاً بالحلال والحرام متوجها الى بيت الحرام اعتقد انّه اخوك المسلم ثمّ اعلم ان كثيرًا من اهل العلم قد يظهر له صحة قول الخصم ولكن لما

يرى الاتباع من العوام ملتزمين بعقيدته يكره ان يظهر ما يضمره كيلا يكسد سوقه عندهم فانظر الى هذه الفتنة او يصير العالم تبعاً للعامي وكان الاجدر ان يكون الامر بعكس ذلك والله المستعان .

« الفصل السابع فى رؤية الله تبارك وتعالى »

صح فى الخبر عن رسول الله صلى الله تع عليه وسلم انه قال ان لله تع سبعة وسبعين حجابا من نور لو كشف واحداً منها لما لاحرقت سبحات وجهه من ادركته رؤية العيان متعذرة فى هذه الدار لانها دار الفناء وان الآخرة هى دار القرار فهذا الحديث مشترك الدلالة دليل لمن انكر الرؤية من حيث اخبر انه لو كشف احرق ودليل لمن اثبت الرؤية حيث جعل الكشف معدوماً بالاحراق والافناء والاهلاك فيكون ذلك اذا وردت الرؤية على محل قابل للفناء والاهلاك والعبد اذا تبوأ دار القرار والبس خلع البقاء والاستقرار وصار يقوم فى بحر الانوار وقعد فى مقعد الصدق وخلع الوصاف ينطلق من وثاق الفناء والزوال فتكشف حينئذ الحجب ويتجلى السبحات فتصادف محلاً آمن الاحتراق والآفات وصارت الصفات على غير طبيعة هذه الصفات وكلما اترعت له كؤس التجلى استغاث بهلم وهات فسبحانه وتعالى تراه القلوب فى الدنيا بنظر الايمان كما تراه الابصار فى الاخرى بنظر الاعيان وصح الخبر انكم لترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته شبه النظر بالنظر لا المنظور بالمنظور فللقوم من العلماء نصيب من علم اليقين فى الدنيا ولاخرين اعلى منهم رتبة نصيب من عين اليقين كما قال قائلهم رأى قلبى ربى وكما قال حارثه اصبحت مؤمنا حقا حيث كشف له رتبة فى الايمان غير رتبتها التى علمها ولهذه المطالعة كان يقول معاذ تعالوا حتى نؤمن ساعة وهذا يدل على تفاوت الايمان وزيادته ونقصانه وهو مذهب بعض العلماء ومذهب البعض انه لا يزيد ولا ينقص وكل قائل فلقوله وجه ومخرج فقد يصير لجمع من العلماء المتقين الزاهدين عين اليقين بحيث يناهز ايمانهم المحسوس كما قال قائلهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا يصير الغيب عندهم كالعين ويزدادون فى القيمة رتبة فى الرؤية غير ما وصلوا اليها فى الدنيا فايها الاخ المنكر الرؤية ليس الامر على ما بلغه فهمك لانك ما فهمت الرؤية الا بواسطة الاشعة المنبعثة من الحدقة وشرطه اعتدال المسافة والهواء الشفاف وهذا الفهم الذى فهمته عالم الشهادة والملك والعين والحدقة يوم القيمة لا تبقيان على هذه الطبيعة المفهومة فى الدنيا وتنخرق القدرة الى الحكمة والحكمة الى القدرة والقلب الى العين والعين

القلب ويكون اخفاء غير ما علمت والشعاع غير ما فهمته والاسوان والالوان غير مألوفاتك ومعهودك وتبدّل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فانّها المحشور فى عالم الملك والشهادة ابرز الى الملكوت والغيب واصعدهُ من مستقر الجهات والادوات والآلات وقل آمنت بالله يراه المؤمنون والكفّار عنه محجوبون كما اخبر به التنزيل وقام على صحته واصح البرهان والدّليل وهذا الفن علم مستقل بنفسه وله علماء موجودون فى الدنيا فاطلبهم واصحبهم حتى تشملك بركتهم وينتفح بصيرتك فتعلم ان القدرة كيف تخرق الى الحكمة وكلّ هذا الذى تسمعه وتشاهده ولا تحجّ الى قوله تع لا تدركه الابصار فليس ذلك دليلا على نفس الرؤية واعلم ان العين فى الآخرة بمنزلة القلب فى الدنيا والقلب يعلم ويرى ولكن لا يدرك والادراك غير العلم سبحانه منزّه عن الكيف معلوم غير مدرك فهكذا فى القيمة منزّه العين غير ممدرك به وحسّ امره عن الادراك اذ الادراك يرون بالاشتراك وهو سبحانه يتعالى وحده لا شريك له ولا شبيه ولا نظير ثم اعلم ان الرؤية لو كانت كما فهمت بواسطة الاشعّة والحدقة لا تحدّث وما تفاوتت واختلفت وليس الامر كذلك بل الخلق متفاوتون فى الرؤية على قدر تفاوتهم فى رتبة العبودية ومنازل القرب فللانبياء فى الرؤية رتبةٌ وللاولياء رتبةٌ ولعوام المؤمنين رتبةٌ ولولا تجنّب الواقع من القياس فى هذا الفن والتلقّى من التوقيف امكن ان يقال يراه المؤمنون يوم القيمة كما يراه الاولياء فى الدنيا ولكن يكون الرؤية بالاشتراك البصر والبصيرة وبصيران بطبع واحد وصنعة واحدة ويراه الاولياء فى الآخرة كما يراه الانبياء فى الدنيا ويتفاوتون على هذا النّهج فى رتبتهم فى النبوة والرسالة ويراه خواص الانبياء كما رأه نبيّنا ليلة المعراج ويزداد النبى صلى الله تع عليه وسلّم رتبة فى الرؤية ويوشك ان يكون تلك الرتبة هى مقام المحمود الذى وحده لا يشاركه فيه غيره فلا ينحصر فى مضيق فهمك وعلمك جلّ الملك القدّوس عمّا تكيّفه النفوس .

« الفصل الثامن فى شهادة ان محمّدًا رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم »

أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون ايّده بالمعجزات الظاهرة والبراهين الباهرة انشقّ له القمر وسلّم عليه الحجر وبايعه امّ من الجنّ المتمرّدين وانقهر لرسالته عتاة الشياطين وكلّمه الذّراع المسموم وانهلّت بدعوته غزالى الغيوم وكلّمه البعير وطاب بريقه البئير ونبع الماء من بين اصابعه انفجارا ونزلت لنصرته الملائكة جبارًا الى غير ذلك من المعجزات والآيات التى لا تنحصر ومن اكبر المعجزات سور القرآن ولكن

لا ينكشف وجه الاعجاز فيه الا لربّان من الايمان والعرفان جعل قلبه مَوْرِدَ الاحكام ولسانه مصدر الاحكام ولا تنطق عن الهوى ولا يأمر الا بالتقى نسخ بدينه سائر الملل والاديان وازال الكتابُ المنزل عليه حكم سائر الكتب المنزلة فى سائر الازمان ونؤمن بجميع الانبياء والرسل والملائكة ونعتقد ان السموات مشحونة بهم وان منهم من ينزل الى الارض ومنهم الكروبيّون والروحانيّون وان منهم حملة العرش والكرام الكاتبون الموكّلون ببنى آدم ومنهم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل قابض الارواح ومنهم حزنة الجنان وزبانية النيران ومالك ورضوان كلّ ذلك نؤمن به ونؤمن بحقيقته وبعد هذا الايمان نعتقد انّ نبينا خاتم الانبياء وان النبوة أغلق بابها وأسبل حجابها فلا نبوة بعد نبوّة محمّد صلى الله تع عليه وسلّم ويجب على الخلق كلّهم من سائر الاديان والملل طاعته والانقياد له فيما اتى به وترك ما كان عليه من قبل وكلّ الطريق غير متابعته مسدودة وكلّ الدّعوات غير دعوة رسالته مردودة ونعتقد ان للاولياء من امّته كرامات واجابات وهكذا كان فى زمان كلّ رسول كانت لهم اتباعاً ظهرت لهم كرامات ومخرقات للعادات وكرامات الاولياء من تتمة معجزات الانبياء ومن ظهرت له وعلى يديه اشياء من المخرقات وهو على غير الالتزام باحكام الشريعة نعتقد انه زنديق وان الذى ظهر منه مكرٌ واستدراجٌ وقد يكون للاولياء انواع من الكرامات كسماع الهواتف من الهواء والنداء من بواطنهم ويطوى لهم الارض وقد يقلب لهم الاعيان وقد ينكشف لهم ما فى الضمير ويعلمون بعض الحوادث قبل تكوّنها كلّ ذلك ببركة متابعتهم لرسول الله صلى تع عليه وسلّم فاوفر الناس حظّا من الصحّة والقرب العبودية اوفرهم حظّا من متابعة رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم قال الله تبارك وتعالى قل ان كنتم تحبّون الله فاتبعونى يحببكم الله وقال الله تع ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وليس ما يكشف من الكرامات آية الصحة واذا لم يكن شىء من ذلك يعدم الصحة بل قد يكون من لم يكشف له افضل ممن يكشف له وهذه غريبة وسرّ ذلك ان الذى يكاشف بشىء من القدرة وخرق العادات انّما يكاشف له لموضع ضعف يقينه حتى يقوى ايمانه رحمة من الله لعباده وثوابا معجّلا لهم وقوم من هؤلاء رفعت الحجب عن قلوبهم وباشر بواطنهم روح اليقين فى صرف المعرفة فلا حاجة لهم الى مدد المخرقات ورؤية القدر والآيات ولهذا المعنى ما نقل عن اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم من ذلك القليل ونقل عن المتأخرين من المشايخ والصادقين اكثر من ذلك لان اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم ببركة صحبة النبىّ م ومجاورة نزول الوحى وتردّد

الملائكة وهبوطها تنوّرت بواطنهم وعاينوا الآخرة وزهدوا فى الدنيا وتزكّت نفوسهم واطمأنّت عادتهم وانصقلت مرآى قلوبهم فاستعبروا عما أعطوا من رؤية الكرامة استلذاذ آثار القدرة ومن بلغ من قدرة البنيّ هذا المبلغ يرى فى اجزاء عالم الحكمة ما يرى العين من القدرة ويرى القدرة كامنة بل متجلّية من حجب الحكمة فلو تجرّدت له القدرة وانكشف له استغرب القدرة يقوى يقينه بها لانه محجوب بالحكمة عن القدرة واعتقد ان الرؤيا الصالحة جزء واحد واربعون جزأ من النبوة والاولياء وصالحوا المؤمنين ينكشف لهم فى مناماتهم لوايح ولوامع من الملكوت ولو اعتبرت امر المنام عجبا فهو من ايات الله الظاهرة وقدرته الباهرة فقد ينكشف فى المنام ما يتكوّن بعد سنة وشهر فالشيء المعدوم الذى بعدما وجد اطّلعك الحق سبحانه عليه قبل ايجاده ليدلّ ذلك على انّ لك خالقاً وانّما هو علاّم الغيوب وقد علمت قصة ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وقول الله لنبيّه اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فعليك بحسن الاقتداء وقد ظفرتَ بكمال الاهتداء والله الموفق والمعين .

« الفصل التاسع فى ذكر اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلم واهل بيته »

اعلم انّ ميراث النبوّة العلمُ وقد توارثه اصحابه واهل بيته وقد وجب عليك محبة الجميع فلا تكن مائلا الى احدى الجهتين دون الاخرى فانّ ذلك هوًى ولا تنزع منك هذا الميل حتّى ينازل باطنك شيء من محبة الله تع الخاصّة فحينئذ تبرأ من الهوى ويكون عندك شغل شاغل بما اعطيتَ فتنظر بصفاء بصيرتك فينكشف لك محاسنهم ويتغطّى ما تنكره من احد منهم فالاشتغال بالعصبيّة والخوض فى امورهم شغل البطّالين وقد استروح قوم الى البطالة وتجرؤا على المخالفات وارتكاب المناهى واتخذوا ما زعموه محبّة جنّة لهم وحدّثهم نفوسهم ان ذلك ينفعهم كلاّ حتى يستقموا على الجادة المستقيمة فلا ينفع محبتهم بغير التقوى والصلوة اذا فاتت والاوقات اذا ضاعتْ والذنوب اذا ارتكبت والمحارم اذا استبيحت انّى يجيرها دعوى محبتهم فيجب ان تحبّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم وهل يسع قلبَ مؤمن الاّ ذلك وقد سمع قول رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم فاطمة بضعةٌ منّى ثم ما بلغك من زهدها فى الدنيا وعلمها وتجرّعها مرارات الفقر والقلّة وحسن صبرها واحتسابها يوجب محبة القلب ولو لم يكن نسبة رسول الله ونسبة رسول الله توجب المحبة ولو لم تكن تلك الصفات الظاهرة فكيف اذا اجتمع ذلك كلّه والحسن والحسين رضى الله تع عنهما اولادها واولادهم اولادها فالكلّ اولاد رسول الله صلى الله تع عليه

وسلّم فمن في قلبه حبّ رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم لا بدّ له من حبّ اولاد رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم واما اصحابه فابو بكر رضى الله تع عنه وفضائله لا تنحصر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تع عليهم اجمعين وكذلك تنسب عليّا رضى الله تع عنه الى النبى صلى الله تع عليه وسلّم بالصحبة اكمل فى وصفه من نسبة القرابة والكمال عال لان القرابة نسبة صورة ونسبة الصحبة نسبة معنى فكيف يسع قلب المؤمن ان يقدح فى اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم وهم مع رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم كجسد واحد بذلوا الاموال والارواح وهجروا الاوطان وقاطعوا الاتراب والاقران فى محبّته وممّا ظفر الشيطان به من هذه الامّة وخامر اعتقائد منه دنس وصار فى الضمائر حبث ما صور من المشاحرة بينهم فاورث ذلك احقادا وضغائن فى النواطن ثم استحكمت ذلك الضغائن وتوارثها الناس فكثفت وتحسدت وجذبت الى اهواء استحكمت اصولها وتشعّبت فروعها فايّها المبرّأ من الهوى والعصبيّة اعلم ان اصحاب رسول الله صلى الله تع عليه وسلّم مع نزاهة بواطنهم وطهارة قلوبهم كانوا بشرا وكانت لهم نفوس وللنفوس صفات تظهر فقد كانت نفوسهم تظهر بصفة وقلوبهم منكرة لذلك فيرجعون الى حكم قلوبهم وينكرون ما كان من نفوسهم فانتقل اليسير من اثار نفوسهم الى ارباب نفوس عدموا القلب ادركوا قضايا قلوبهم وصارت صفات نفوسهم مدركة عندهم للجنسيّة النفسيّة فبنوا تصرف النفوس على الظاهر المفهوم عندهم ووقعوا فى بدع وشبه اوردتهم كلّ مورد ردىّ وجرّ عنهم كل مشرب رنّ واستعجم عليهم صفاء قلوبهم ورجوع كلّ واحد منهم الى الانصاف ولو اعانه لما يجب من الاعتراف وكان عندهم اليسير من صفات نفوسهم لانّ نفوسهم كانت محفوفة بانوار القلوب فلمّا توارث ذلك ارباب النفوس المسلّطة الامّارة بالسوء القاهرة القلوب المحرومة انوارها احدث عندهم العداوة والبغضاء فان قبلت النصح فامسك عن التصرّف فى امرهم واجعل محبّتك للكل على السواء من غير ان ترجّح محبّة احدهم على الآخر وامسك عن التفضيل والعلوّ فامرهم اكبر من ان تخوض فيه وان خامر باطنك فضل احدهم على الآخر فاجعل ذلك عن جملة اسرارك فلا يلزمك اظهاره ولا يلزم ان تحبّ احدهم اكثر من الآخر بل يلزمك محبّة الجميع والاعتراف بفضل الجميع ويكفيك فى العقيدة السليمة ان تعتقد صحّة خلافة ابى بكر وخلافة عمر وعثمان وعلى رضوان الله تع عليهم اجمعين ثم تعلم ان عليّا ومعاوية كانا على القتال والخصام وكانت طائفتان يسبّ بعضهم بعضا وما حكم احد بكفر الآخرين وانّما كانت ذنوبا لهم فلا تكفّر احدا بما ترى

منه من الجهل والسنّ واعتقد ان امير المؤمنين عليًّا رضى الله تع عنه اجتهد فى الخلافة واصاب فى الاجتهاد وكان احقّ الناس بالخلافة اذ ذاك وان معاوية اجتهد فى ذلك واخطأ فى الاجتهاد ولم يكن مستحقًّا لها مع علىّ رضى الله تع عنه والله ينفعنا بمحبتهم ويحشرنا فى زمرتهم .

« الفصل العاشر فى ذكر الموت وما بعده من الامور الاخروية وذكر الساعة »

نعتقد ان الميّت بعد الموت يسمع ما يقال عنده ويقال له كما كان فى حال حياته ويتأثّر بالعنف واللطف من الغاسل ممّن يباشر جسمه وكأن الحواس التى انعدمت انكمت فيه ولا نشكّ فى أمر الميّت وسماعه ورؤيته وقد دلّت الاخبار على ذلك اذا فتّشتَ وتحدثَ وقد وجد اهل الله وخاصّته ذلك ذوقًا وعلموه وايقنوه .مما اظهر الحقّ لهم واطّلعهم عليه والملكان منكر ونكير يسألانه وما ورد المسائلة الاّ للمقبور وظاهر الامر انّ المسائلة تكون للحريق والغريق ايضا وممّن اكلتْه السّباع وكيف مات على اختلاف الاحوال فان ذلك ابتلاء من الله تع لعباده وهو جملة منازل الآخرة وهو موافقها ونعتقد ضغطة القبر وانّ القبر روضة من رياض الجنان او حفرة من حفر النيران وانّ الارواح والاجساد تشترك فى النعيم المقيم والعذاب الاليم وانّ القالب بعد ان يصير ترابا ويتّخذ من الخزف ويضرب منه اللبن يشترك مع الروح فى النعيم والعذاب وان الله يجمع بين كل قالب وروحه ليوم العرض والنشور وفى اخذ ابراهيم عليه السلام اربعةً من الطير وقصته كان اظهارًا لهذا السرّ فيكون عقلك لا يكيّف ذلك لما سبق من القول وانك محصور فى معقولك مقيد بعقال عقلك وما مثالك ايّها المحبوس فى قفص اعالم الحكمة الا مثال الجنين فى بطن الامّ لو قال له قائل ان الله خلق السموات والارض والعرش والكرسىّ والشمس والقمر والنجوم ما تكوّن له ذلك ولا اهتدى فانت ايّها المعتقل بعقلك ذلك الجنين ما تشقّقت عنك مسامع عالم الشهادة ولا تنقّعت بيضة وجودك وبعدما ولدتْ فاذا متّ يقال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فتستيقظ من رقدتك بموتك وترى عالمًا ما رأيته وترى الجنة والنار واعتقد انّهما موجودتان مخلوقتان وكل ما ورد مِنْ عظم امر الجنة حق من الحور والقصور والولدان والغلمان والانهار والاشجار وقس جميع امر الجنة على ما ورد بانّ القائل اذا قال لا اله الاّ الله يعطي بقوله شجرة يسيرة اكبّ فى ظلّها مأة عام فاعلم انّ ذلك حقّ وخيالك اعظم من ذلك ما لا عين رأتْ ولا اذن سمعتْ ولا خطر على قلب بشرٍ وانّما اخبرت ببسير من كثير على قدر وهمك وخيالك وضيق وعائك

لانك ما دمت في هذا العالم فرعاء فهمك ضيق على قدر ضيق هذا العالم والمقيدون بعقولهم لا يقبلون الشيء الا اذا دل عليه البرهان وما عداه فهو عندهم تخمين وهذيان فيهم الملاحدة والزنادقة اجهل خلق الله بالله ما لهم في الآخرة من نصيب ويدلك على وهن بنيانهم وفساد امرهم اختلافهم في الآراء ويدل على صحة امر الانبياء عليهم السلام اتفاقهم على اصل ما اختلفت واتفق عليها اتباعهم واشياعهم الى يوم القيمة واعتقد ان الله تع يبعث الخلائق ليوم الحساب ويجمع الخلق في صعيد ويحاسب على النقير والقطمير ففريق في الجنة ابد الآباد وفريق في السعير ضرب بينهم سيائر (هكذا) الابعاد مخلدون في النار واخصاً من قال لا يخلدون فقوم منهم يذوقون النار وقوم يمكثون قليلا وآخرون كثيرا على قدر ذنوبهم واهل البدع سبيلهم سبيل اهل الكبائر لا يخلدون في النار قال رسول الله صلى الله تع عليه وسلم اثبت انتهم من الامة وقوله عليه السلام الناجية واحدة والفرق الناجية لا يذوقون النار ولا يدخلونها الا نحلة القسم والباقون يدخلون النار ثم يخرجون فلا تعتقد ان من صام وصلى الى الكعبة وحج وزكى يخلد في النار على ما يكون منه من الكبيرة والبدعة ونعتقد ان للانبياء شفاعة يوم القيمة يخرج بشفاعتهم خلق من النار وللاولياء وللمؤمنين شفاعة وجاه عند الله تعالى على قدر رتبتهم ونعتقد ان الصراط حق ادق من الشعر واحد من السيف وان الميزان حق وله كفتان ولسان وكل الذي يخامر سرك فقد تبينت على الطريق الذي اتيت به واي شيء تنكر من قدرة الله تع ان يوزن فيا ايها الرجل صاحب العقل الصغير والعلم اليسير عقلك لا يعلم الا الجواهر والاعراض كيف توزن وهي لا تقوم بذواتها وتضحك من القائل لذلك فمن اطلعه الله تع على الاسرار وعجائب الاقدار يضحك عليك من قصور عقلك ويزرى على ركاكة فهمك فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون فمن علم ذلك العلم واتخذه اميناً واطلعه على الامور الاخروية وكشف له عالم القدرة يرى ان المقيد بعقله كالصبي الذي يتحرك بحركات ويعتقد باعتقادات ويظن ظنونا يضحك العاقل البالغ من اعتقاده وصاحب العقل المنكر للامور الاخروية عند صاحب هذا الفن من العلم والكشف اقل عقلا من الصبي مع ما يعتقد في نفسه انه سبر الارض باسرها ووزنها وعلم حركات الافلاك وتأثيرات الكواكب ووقف من علم الهيئة على اتم غاية واكمل نهاية واعتقد في نفسه هذا ومن سلك مسلكه ان ليس على وجه الارض اعلم منه مع ذلك كله هو اجهل خلق الله تعالى حيث جهل الامور الاخروية لان تلك العلوم كلما اكثر منها ازداد جهلاً بالله وبامره فان سبق له من الله الحسنى فهو ينقذه من الضلال فقد انقذ

حقاً خاضوا تلك الغمرات وعاينوا تلك المهلكات فقد رأينا منهم وسمعنا بهم وما ذلك على الله بعزيز . ونعتقد انّ الحوض المورود المخصوص به نبيّنا صلى الله تع عليه وسلّم حقّ ولا نعتقد ان اهل الكبائر لا بدّ لهم من ورود النّار ولا نقطع لهم بذلك بل نجوّز انّ الله تعالى يتجاوز عنهم او اطلع لهم على ما كفّر سيئاتهم ولا نقطع لاحد بالجنّة لما نرى منه من الاعمال الصالحة والطريق الحميدة بل نرجوا له الجنّة ونجوز ان الله سوف يورده النار الاّ من نصّ عليهم التنزيل قال الله سبحانه (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) . ونعتقد انّ عيسى عليه السّلام ينزل وانّ الدجال يخرج والشمس تطلع من مغربها كلّ ذلك حق لا شكّ فيه ونعتقد ان الخلافة في قريش الى يوم القيمة لا يخاريهم عليها غيرهم . ونعتقد وجوب الانقياد لامام الوقت من بني العبّاس وسائر ولاة الامر من قبله. ونرى قتال من يخرج على الامام . ونعتقد الجمعة والجماعة ووجوب قضاء حقوق المسلمين والاتّفاق معهم على ما اتّفقوا عليه ونعتقد اجماعهم فيه ولا نستبدّ بارائنا دون اجماع المسلمين وكل ذلك بتوفيق الله سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمّد النبيّ الامّيّ وعلى آله الطاهر واصحابه اجمعين وسلّم تسليما .

كان السهروردي (شهاب الدين ابو حفص عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عمّويه البكري التيمي الشافعي الملقب بشهاب الدين) من ائمة المتصوفين في عصره وكان قد درس على ابي النجيب بالجبل .

ومن مؤلفاته التي نشرت : عوارف المعارف : طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٢٩٤ هـ. على هامش احياء الغزالي وهو يتعاطى درساً تطبيقياً تصوفياً وتعديدات عديدة لمفردات التصوف . والكتاب الثاني الذي نُشر : كشف النصائح الايمانية وكشف الفضائل اليونية . والكتاب الثالث : جذب القلوب الى مواصلة المحبوب. طبع في حلب في مطبعة البهاء سنة ١٣٢٨هـ.

واذا تكلمنا على شهاب الدين هذا فعلينا الاّ نخلط بينه وبين ابي الفتوح يحيى بن حبش بن اميرك الملقب « بالشيخ المقتول » بحلب .

المراجعات :

K. Brockelmann, *GAL*, I, 440/41.
Encyclopédie de l'Islam, IV.
Carra de Vaux : *Les Penseurs de l'Islam*, IV, pp. 199-207.

سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ص ١٠٦٠/١٠٦١
ياقوت : معجم الادباء طبعة بيروت، صادر ١٩٥٧، جزء ٣ — ص ٢٩٠
ابن خلكان : وفيات الاعيان، جزء ٢، ص ٣٦١